الحفائر البولونية في تدمر عام ١٩٦٠ (١)

الاستاذ : كازيمير ميخالوفسكي تعريب وتلخيص : بشير زهدي

تمهيد :

دامت حفائر البعثة البولونية في تدمر في موسمها الثاني من ٢٩ نيسان الى ٣٠ مايس . وقد مثل السيد (نظمي خير) المديرية العامة للآثار والمتاحف لدى البعثة البولونية ، وقدم السيد عبيد الطه مراقب الآثار في تدمر مساعدته للبعثة ، وسجل رئيس البعثة كلمة شكر للدكتور سليم عادل عبد الحق على تسهيله له العمل في تدمر .

قوس التترابيل :

كان هذا القوس يبدو قبل الحفر كمنحدر من الأرض ، وكانت اعمال السبر التي قام بها (ويجاند) و (كرنكر) قد أدت الى وضع مخطط لقوس التترابيل تبين انه ، بشكل عام ، اكثر دقة من مخطط الباب البريتوري والرواق . واثناء الحفر تبين انه بني في قوس التترابيل في العصر البيزنطي والعربي مساكن مما أدى الى ظهور صعوبات جديدة تتعلق باظهار البناء والدراسة المفصلة له .

العصر الروماني :

يتألف قوس التترابيل من بناء مستطيل الشكل (١٤٫٢٦ م × ١٤٫٤٥ م) شيد على مسافة ٣٦ م من الرواق و ٥٨ م من مدخل الباب البريتوري وبعد مسافة ٧٧ م من درج المعبد المسمى بمعبد ذي الألوية . أما بالنسبة لاتجاهه فإن الطريق الرئيسي ، الطريق البريتوري ،

---

(١) اتماماً للفائدة يرجى الاطلاع على الهوامش والملاحظات والصور المنشورة مع هذا المقال في القسم الاجنبي من هذه المجلة . (المعرب)

منحرف مقدار ٣٧،٥٠ م من جهة الشمال الى الغرب ، وتتضمن زاويته ٣٠٨،٢١ درجة وقد قام بهذه الحسابات مهندس البعثة (دابروسكي) مستنداً على مقاييس فلكية ، فأمكن تصحيح كل ماكان قد وصل اليه (ويجاند) . ونستنتج ان موقع قوس التترابيل صحيح تماماً بالنسبة لموقع المعبد المسمى بذي الألوية ، ويخالف الرواق الذي يتبع في اتجاهه محور الاعمدة العرضانية .

وقد شيد قوس التترابيل من كتل كبيرة من حجر الجير الابيض اللين الذي له صفة الاحجار نفسها التي تشكل مداميك الباب البريتوري ، وان أساساته تتألف من ثلاثة مداميك مبنية من أحجار كبيرة قسم منها يعود الى أبنية أقدم ، فأعيد استعماله . ويبلغ عمق أساساته ١،٧٠ م ويتجاوز المدماك العلوي من الاساس قاعدة العمود ب(٥) سم الى (٤٠) سم بشكل غير منتظم في كل جهة . وقد أعطتنا دراسة أساس قوس التترابيل دليلاً قاطعاً لتاريخ هذا البناء ، وأخرجنا من المدماك الثاني من مداميك الاساس تمثال Hagat الذي يعتبر تمثالاً نموذجياً لفن النحت التدمري في أوائل القرن الثالث الميلادي . وعثر قرب هذا التمثال على قطعة من مذبح صغير عليها كتابة وتاريخ ٢١٩ — ٢٤٠ ومن المستحيل أن يكون في عهد زنوبيا قد أعيد استعمال التمثال الجنازي في تشييد بناء عام ، أو أن يكون قد أعيد استخدام لوح حجري من سرير جنازي من الفترة الثانية من الفترات التي مر بها فن النحت التدمري ، نحت عليه مشهد جمال وضابط . ومن الصعب الاعتقاد انه بين ٢٧٢ م وعهد ديوكلسيان قد شيد بناء كبير مثل قوس التترابيل في هذا الحي من المدينة . وقد أعطانا فحص أساس قوس التترابيل دليلاً اضافياً لقبول فكرة تشييد (سوسيانوس هيراكليس) هذا البناء ، ولكن دراسة التفاصيل الأخرى من هذا البناء تدلنا على تاريخ متأخر لبناء قوس التترابيل .

واستطعنا ان نتوصل الى ان أرض الطريق البريتوري ترتفع قليلاً من الباب الى الرواق الى قوس التترابيل وهذا الإنحدار لا يتجاوز ١،٥٧ م بين قوس التترابيل والباب ، وتبين أن لكل من الأحجار المرصوفة نتوء في الخلف مما يدل على أنها أتت من بناء آخر أقدم .

ويشاهد في أرض قوس التترابيل مجريان للماء هما : قناة تحت الأرض ومجرى ماء محفور في الأحجار المرصوفة ، وتمر القناة تحت الأرض وتحت الأحجار المرصوفة بين الأعمدة C و F وتعرف هذه القناة بفضل ثلاث فتحات ، ويبلغ عرض هذه القناة ٢٣ سم وعمقها ٢٣ سم وتغطيها أحجار مرصوفة يبلغ سمكها ١٧ سم وقد بنيت في جانبيها بدماكين من أحجار الجير الأبيض اللين المنحوت . أما النوع الثاني لمجرى الماء فإنه محفور في الأحجار المرصوفة ، يبلغ

عرضها ١٧ سم ويتراوح عمقها بين ٥ سم و ٧ سم ، وقد حفرت قناة على طول الواجهة الشمالية الشرقية على ارتفاع العمودين B و I تقريباً ، واستخدمت لايصال الماء من الزاوية الشمالية لقوس التترابيل الى القناة تحت الأرض وذلك بالفتحة القريبة جداً من العمود F وهناك مجرى آخر من النوع ذاته حفر على طول الواجهة الشمالية الغربية . جعلت في قاعدة العمود وتوصل الماء خارج قوس التترابيل بين الزاوية الغربية والعمود D ويمكن أن تكون هناك قناة مقابلة لمجرى الماء الموصوف أعلاه . وأن الجرن الصغير الذي له ثقب المجرى يمكن أن يكون موافقاً لهذا النوع من مجرى الماء .

ويدل المخطط التفصيلي على الوضع الصحيح لكل أحجار قوس التترابيل الموجودة على الأرض حول البناء . وان المقاييس الصحيحة لكل هذه الأحجار تدل أنها تعود إلى دعائم وجدران زوايا قوس التترابيل . وكان يتوج هذه الدعائم – على ارتفاع تيجان الأعمدة – تيجان مستطيلة مستندة على جدار الزوايا ومزخرفة في ثلاث جهاتها فقط . وتقوم الأعمدة الثمانية فوق قواعد ارتفاعها ٨ سم وعرضها ١٢٠ سم مزينة بنتوءين يشكلان قسماً بارزاً في الاعلى وفي الأسفل . وأن نواتىء قاعدة العمود G فقط هي نسبياً في حالة حفظ جيدة ، وقد نحتت قاعدة العمود من حجر واحد باستثناء قاعدة العمود C المؤلفة من كتلتين من الحجر .

ويعلو الأعمدة تيجان من النوع الكورنثي ويمكن تصنيفها في زمرتين : اربعة منها لها تحت صف الأشكال البيضوية شريط من نبات الغار ؛ وأربعة أخرى مزخرفة باوراق دورية تحت صف من الأشكال البيضوية . وقد دلت دراسة وضع تيجان الأعمدة على الأرض حول قوس التترابيل على أنه في الواجهة الجنوبية الشرقية المتجهة الى الرواق فإن الأعمدة مزينة بتيجان من شريط من الغار ، في حين أن الواجهة المتجهة الى معبد ذي الألوية في الأتجاه الشمالي الغربي لها تيجان مزينة بأوراق دورية . وكان هناك تناوباً لهذه الزخارف في تيجان أعمدة الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية ، سواء في الواجهة المطلة الى معبد اللات ، او الواجهة المطلة الى وادي القبور وهكذا فإن العمود G مزين بأوراق دورية . وللعمود F – المحفوظ في مكانه – شريط من الغار ، وهذا ما يشكل دلالة هامة تتعلق بزخرفة قوس التترابيل .

ولكن عارضة قوس التترابيل تثير مشكلة صعبة ، فهناك حجران يعودان لبناء الساكف

مازالا على العمود H . وهناك قسم من طنف على الارض قرب الزاوية الشرقية من قوس التترابيل مزين في أعلاه بأشكال سعف النخيل وفي أسفله بالاشكال البيضوية والورود وأغصانها، ويمكن اعتبار هذا الاثر - بكل تحفظ - كطنف يعود إلى قوس التترابيل ، وبحسب مبادىء (فيتروف) يجب ان تقابل العارضة $\frac{1}{5}$ ارتفاع العمود بما في ذلك القاعدة ، ويبلغ ارتفاع هذا الجزء من الطنف ٥٢ سم مما يجعله يبدو منخفضا من اجل أعلى قوس التترابيل . فكيف يمكن تفسير هذا الاثر ؟

انه قليل الاحتمال أن يكون بناء بمثل هذه الضخامة قد بقي بدون اتمامه .وهناك تفسير لا آخر قليل الاحتمال أيضاً هو أن هزة أرضية اسقطت عارضة البنـاء كلها ، فأعيد فيما بعد استعمال احجار الافريز والطنف في أبنية أخرى . فاذا كان قوس التترابيل مسقوفاً ، فإن السقف كان من الخشب فقط . وعلى كل ، فليس هناك ما يسمح لنا بالافتراض بوجود سقف ولو من الخشب كما أعتقد (ويجاند) . وإن طراز قنوات الماء في الأحجار المرصوفة لا يشكل حجة من أجل سقف قوس التترابيل . ومن جهة أخرى ، فان من الصعب الاعتقاد أنه بني بدون سقف .

إن الدور الرئيسي لقوس التترابيل يعتمد على تشكيل مفرق تتقاطع فيه الشوارع الرئيسية للمعسكر ، أي الطريق المعروف بالبريتوري الذي يؤدي من الباب - بواسطة الرواق - الى المعبد ذي الألوية ، والطريق التي تحاذي معبد اللات . وقد أبرزنا مكان عمودين من الصف الشمالي الغربي من الأعمدة التي تتجه من قوس التترابيل الى معبد اللات . وأبرزنا من الصف الجنوبي الشرقي قواعد الأعمدة فقط . ويقوم صف أعمدة معبد ذي الألوية على ارتفاع يزيد ١٠٤ سم عن ارتفاع أعمدة جهة الرواق ، ولاختصار مشكلة صفوف أعمدة جهات قوس التترابيل الاربعة ، يجب قبول أن الاقدم هو صف أعمدة جهة معبد اللات ، الذي ربما سبق الصف الشمالي الغربي بناء معبد قوس التترابيل بقرن ونصف . ويبدو أن صف أعمدة جهة الجنوب الغربي معاصر لقوس التترابيل ، وربما كان صف أعمدة جهة الرواق وجهة معبد ذي الالوية يعود الى زمن متأخر عن زمن بناء قوس التترابيل ، وهذا الامر ظاهر في جهة معبد ذي الالوية ، إذ يمكننا أن نستنتج موقع الاحجار العائدة لقواعد الأعمدة الموضوعة على المداميك العلوية من أساسات قوس التترابيل . ولنذكر أيضاً انه اثنـاء ابراز قوس التترابيل وجواره ، اكتشفت مئات من قطع النحت المستعملة في جدران تعود الى عصر متأخر ، ولنضف على القطع المذكورة اعلاه تمثال ربة النصر ،

ورأس راهب ، وقطعة تتعلق بالافلاك . ولنشر أننا أبرزنا جدارين يقابلان جوانب صدر الرواق على طول الصف الجنوبي الغربي من الأعمدة المتجهة الى معبد ذي الألوية ، وعلى طول هذه الصفوف من الأعمدة التي تصل الرواق بقوس التترابيل . وتلاحظ ، في المداميك المكتشفة على طول ١٢ م فتحتان على ارتفاع ١ م وعرض ١ م ، محفوظتان على ارتفاع ١،٢٠م ، يمكن أن تكونا نافذتين في جدار صدر الرواق . وكانت الفتحة الجنوبية تستخدم في العصر البيزنطي - بدون شك - كباب ، لأنه مجهز في أسفله بحجر استخدم كعتبة ، وقرب هـذه الجدران ، على عمق ١،٣٠ م ومسافة ٦،٦٠ م من الزاوية الغربية من قوس التترابيل اكتشف الكنز البيزنطي ، ويبلغ سطح الطبقة البيزنطية ارتفاع العتبة .

العصر البيزنطي :

تتميز الأبنية البيزنطية عن الجدران العربية ، ليس فقط من المداميك الجيدة العناية ، بل ومن وضعها مباشرة على الأرض الرومانية . ففي العصر البيزنطي ، طرأ على قوس التترابيل والأبنية المجاورة تغيرات رئيسية . ومن الصعب الاعتقاد ان هـذه التغيرات جرت في اوائل العصر البيزنطي . وفي عصر جوستنيان جرت تصليحات في المعسكر ، وقويت اسوار تدمر . ولم تكن الحضارة البيزنطية حتى عهد جوستنيان الا استمراراً لتقاليد الحضارة الرومانية في الامبراطورية الشرقية ، فمن المحتمل قليلاً اذن ان نكون امام فعالية معمارية لهذا العصر الحديث . وكانت هذه الفعالية ضد مبدأ جمالي وتقاليد معمارية قديمة . ولكن الحالة تكون مختلفة تماماً اذا أخذنا بعين الاعتبار العصر المتأخر للسيطرة البيزنطية في هـذه المناطق من الامبراطورية الشرقية . وان اكتشاف كنز - يعود الى القرن السابع - قرب قوس التترابيل ، يمكن ان يعطينا دلالة محدودة : من جهة تاريخ هذا التغيير ، ويمكن تاريخه بنهاية القرن السادس او بداية القرن السابع الميلادي .

وقد تحول قوس التترابيل نفسه الى مساكن ، واقتصرت طرق المواصلات على مـا بين الاعمدة الوسطى ، واغلقت المسافة الواقعة بين الزوايا والاعمدة بجدران ، وشيدت جدران اخرى في داخل قوس التترابيل مما جعل اربع غرف شبه مستطيلة بين زوايا قوس التترابيل . وان ظروف اكتشاف الكنز لا تسمح لنا ان نحسب حساباً لجوار هذا المكان ، فقد كان

الكنز مخفياً في وعاء فخاري سحقه الجدار الذي كان فوق الارض ، ومن البديهي ان الوعاء الفخاري كان على ارتفاع العتبة التي اقيمت في العصر البيزنطي في فتحة تقع الى الجنوب من هذا المكان الذي يقابل المستوى البيزنطي المحفوظ في الجهة الاخرى من قوس الترابيل في مساكن يمكن تسميتها بمساكن العمال استخدمت في العصر العربي . ولسنا متأكدين فيما اذا كان هذا المكان يعود - خلال العصر البيزنطي والعربي الحديث - الى غرفة من مسكن او باحة مكشوفة . وقد جرى الاكتشاف الهام في هذا الموسم في ظروف لا تسمح لنا بالوصول الى نتائج تتعلق بأصحاب الكنز ، ولكن قيمته الفنية والتاريخية كبيرة جداً . يتألف الكنز من سبعة وعشرين ديناراً تسعة منها باسم (فوكاس) ٦٠٢ - ٦١٠ وثمانية باسم هرقل الأول وابنه هرقل الثاني قسطنطين (٦١٣ - ٦٤١) ، وخمسة باسم هرقل الأول وولديه هرقل الثاني وهيراقليوناس (٦٣٨ - ٦٤١) واربعة باسم كونستانس الثاني وابنه قسطنطين بوجونوتابس (٦٥٤ - ٦٥٩) ودينار باسم كونستانس الثاني قسطنطين (٦٤١ - ٦٦٨) ، وهذا مايقدم معطيات هامة جداً بالنسبة لتاريخ كنزنا .

ان الكنز وان يكن بيزنطياً فإن العصر الذي تعود اليه الدنانير تقابل في تدمر عصراً كان فيه الخلفاء لم يبدؤوا فيه بعد بسك نقود لهم . فلدينا اذن دليل على أن الدنانير البيزنطية كانت متداولة بحرية في تدمر وفي المناطق الأخرى التي كانت خاضعة للحكم العربي ، وتستخدم نقوداً تبادل بها التجار قبل دخول النقود العربية اليها .

أما المجوهرات التي تشكل قسماً من الكنز ، نذكر منها القرط الذهبي وفردة قرط ، وتعليقة لها شكل صليب واخرى مستطيلة . وتشبه أشكال المجوهرات الاقراط والتعليقات والمشابك التي تبدو على التماثيل النصفية الجنازية التدمرية ، بل ويمكن ان تعتبر تقليداً محلياً في فن الصياغة من قبل صياغ تدمر .

العصر العربي :

استخدم قوس الترابيل وجواره كمساكن في العصر العربي . وأن مداخل جهات القوس التي اقتصرت في العصر البيزنطي على ما بين الأعمدة الوسطى ، قد اختصر من مساحتها أيضاً . ولاختصار البقايا التي تعود الى العصر البيزنطي يجب ابراز ما يلي : ان المساكن البيزنطية

التي أعيد استعمالها في هذا العصر قد اختصر قسم من مساحتها ، وان الغرف المشيدة في الامكنة التي بقيت خالية في العصر البيزنطي – مثال ذلك : الجهة الجنوبية الغربية من قوس التوابيل وجهتا الشارع البريتوري الذي يؤدي الى معبد الالوية – ان هذه الغرف ذات مساحات غرف العصر البيزنطي ، كما ان السطح غالباً ما يكون على ارتفاع ٣٠ – ٤٠ سم فوق سطح العصر البيزنطي .

ولكن الصفة الخاصة تبدو في طريقة بناء مداميك الجدران المشيدة من الاحجار الصغيرة ، او من كتل ذات ابعاد مختلفة ، وضعت بدون عناية وبدون أسمنت ، فكان التراب وحده يملأ مابين الأحجار ، وهذا ما يدل على أن سكان تدمر كانوا قد اكتفوا بمساكن أكثر فقراً من المساكن التي كانت مستعملة في العصر البيزنطي ، وكانت حياتهم أكثر تواضعاً وطراز حياتهم أكثر انخفاضاً .

بدأ العصر العربي في تدمر في العام الثالث عشر الهجري (٦٣٤) م عندما أجبر خالد القائد المشهور للخليفة ابى بكر – سكان تدمر على فتح أبوابها ، وقبول جالية مسلمة بينهم ، فاختفى عندئذٍ آخر آثار الحياة التدمرية الخاصة ، وعندئذٍ لم تعد سوى قرية عربية صغيرة حسبما لاحظ ذلك السيد (فيفريه) .

وادي القبور :

أً – الدراسة الأولى لوضع القبور الارضية الواقعة في وادي القبور :

اثناء القيام بأعمال الحفر في العام السابق اثيرت مشكلة وضع مختلف القبور الأرضية الواقعة في الوادي . فمن البديهي انه في القرن الثاني كانت كل القبور الارضية الواقعة في وادي القبور مرئية ويمكن الدخول اليها على الاقل . وهكذا ، بما أن الأرض تتألف من صخور لينة ، فكان على المتعهدين التدمريين الذين يحفرون القبور ان يأخذوا بعين الاعتبار المسافات اللازمة في كل قبر ، وذلك منعاً من هدم السقوف او الجدران في حالة بناء قبرين احدهما قرب الآخر .

وهكذا ، يجب اخذ ذلك نفسه بعين الاعتبار لاجل الحفر في القبور التي يجب ان تكون

على مسافة تفصل احدهما عن الآخر . وقد اتخذ مهندس البعثة السيد (دابروسكي) المقاييس اللازمة للقبور الارضية المكتشفة حتى الآن في منطقتنا في وادي القبور ، وقدر المسافة بين كل منها وحذف بعض الاقسام الارضية التي لا يمكن حفر قبر فيها بسبب وجود غيرها في جوارها . وقد حدد بعض النقاط حيث يمكن توقع وجود قبر بالنسبة لمسافة قبور أخرى ، وان أول تجربة قمنا بها بالنسبة لحساب المسافات ظهرت مرضية جداً . وبعد عدة ساعات من أعمال السبر وصلنا الى حفرة عمقها ٧٩ سم من الرمال الناعمة تعلو أول درجة من درجات تؤدي الى القبر (N) الذي اكتشفناه بعدئذٍ في هذا الموسم .

وفيما يتعلق بوضع قبور وادي القبور يجب الاخذ بعين الاعتبار ليس فقط القبور الأرضية وغيرها من أشكال القبور ، كالقبور السكنية والقبور البرجية ، بل وصف الآبار التي أشرنا الى وجودها في المدفن في تقريرنا السابق . وقد فكر (دابروسكي) في امكانية وضع فرضية اولى تتعلق بما يسمى مقياس وضع القبور الارضية . وتحفظ دون ان يدلي نهائياً بشيء حول هذا الموضوع . وعلى كل حال ، فمن المحتمل اننا – في هذا القسم من وادي القبور – أمام ثلاثة أنواع من القبور الأرضية متجهة باتجاه الشرق والغرب . ومداخلها في كل صف تتناوب مع مداخل غيرها . وان خصائص الارض ووجود وادي ، ونوعية الحجر ... الخ يسمح بهذا الاتجاه الشمالي الجنوبي لقبر يرحاي .

ونرى ان الحقيقة هي ان نوعية الصخر اللين تفرض مسافة بين القبور ، وعلى كل حال فإن التنقيبات القادمة في هذا القسم من وادي القبور يمكن ان توضح وتجيب على الأسئلة المتعلقة بوضع القبور الأرضية . وهذه المشكلة لها معنيان :

١ً – لها أهمية من جهة دراسة مدافن تدمر .

٢ً – ويمكن ان تسهل للمنقبين البحث عن المدافن التى لم تكتشف بعد .

وللاختصار ، لنذكر ان المسافة بين القبور المتجهة من الجنوب الى الغرب يجب ان لا تتجاوز ٢٢ م . كما أن المسافة بين الصفين – آخذين بعين الاعتبار أسفل درج الصف الغربي ، وأعماق غرف الصف الشرقي – يجب ان لا تتجاوز حوالي ١٠ م بخط منحرف لان مسافات المدافن الارضية في هاتين الجهتين هي نفسها تقريباً .

القبر N :

ان القبر السادس (N) متجه من الشرق الى الغرب ، ويقع على مسافة ٢٢ م شمال القبر الثالث و ٢٦ م جنوب السبر (L) . وان اول درجاته تبعد مسافة ٤٥ م عن قبر البرج ٢٢ الواقع الى الغرب و ٢٢٫٥ م عن عمق القبر الرابع شلم الالات الواقع في الجنوب الشرقي . ويوصل الى القبر بدرج طوله ٦٠ سم مؤلف من ٢٢ درجة عرضها ٢٫٠٥ م — ٢٫٢٠ م وارتفاعها ٢٠ سم وينحرف قليلا سطح كل منها . ويؤدي هذا الدرج الى باحة مستطيلة عرضها ٣ م وطولها ٣٫٥ م .

وللقاعة الجنازية شكل مستطيل عرضه ٢٫٨٠ م وطوله ٣٫٩٠ م ، وكان السقف قد تهدم قسم منه ، ويبلغ ارتفاع القاعة في الوسط حوالي ٢٫٤٠ م ، وليس هناك اثر طلاء على الجدران . وعلى الارض وسط القاعة يوجد مدفنا طفلين حفرا باتجاه الشمال الجنوبي واحدهما قرب الآخر ، وابعادهما كما يلي :

طول مدفن (A) من المدخل ٦٥ سم وعرضه ٤٥ سم وعمقه ٤٣ سم
« « (B) ٧٢ سم « ٢٣ سم « ٣٢ سم

واثناء الكشف عن هذا القبر كان نصف القاعة مغطى بالرمال وبكتل التراب الهابطة من السقف ، وهكذا فان الفراغ الذي كان موجوداً طيلة قرون عديدة في القاعة يفسر رطوبة الداخل ، وبقدر ما يمكن الاستنتاج ، ان القبر الوحيد الذي لم يهدم وجد حتى الآن في وادي القبور .

فكيف يمكن ان نفسر عرض هذا الدرج والباحة الواسعة يؤديان الى قاعة صغيرة لا تنطبق مع طراز المقابر الارضية في تدمر ، في تدمر من الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار الحالة السيئة للطبقات الارضية ، إذ يمكن أن نتخيل — اثناء حفر غرفة أرضية — الخطر الذي يمكن أن ينتج عن الهدم ، فتقرر اهمال الأعمال وذلك بعد ما بدىء بحفر الكهف الأول .

وهناك فرضية أخرى تبدو أكثر احتمالاً ، وهي أن الاسرة التي بدأت بناء المدفن على نطاق واسع يتمثل في عرض الدرج أصيبت في فترة ما بصعوبات مالية مما حال دون ان تأمل بقيامها ببناء القبر بكامله ، فاستخدمت الغرفة الاولى المحفورة — التي ربما كانت تقابل في المنهاج الاول دهليز القبر — كمكان لدفن طفلين .

وليست هي المرة الأولى التي يلاحظ في هذه المدافن اهمال المشاريع المتعلقة بالاستفادة من القبور التي بدىء ببنائها على مقياس واسع ، فهناك حالة مماثلة تراءت لنا عام ١٩٥٩ في تفسير قبر زبدا ، وقبر Norbel الذي اكتشفه السيدان بني وعبيد ، يدل أيضاً على اهمال المشروع الأولي .

ان القبر الذي اكتشفناه في هذا العام يوجد في نفس الصف من القبور – ومثل كل المدافن الاخرى في جواره فقد بنيت في نهاية النصف الاول من القرن الثاني الميلادي ونميل الى تاريخه أيضاً في هذا العصر .

فما هي أسباب فقر بعض العائلات التدمرية التي وجدت ان عليها ان تترك بناء مساكنها الابدية بالشكل الذي بدأت به في عصر أوج ازدهار المدينة ؟

الا يمكن أن نرى في التعرفة الجمركية التدمرية التي تعود الى ١٣٧ م السبب الذي ادى الى ما نفكر فيه بالنسبة لبعض المدافن في وادي القبور . ان نظاماً اقتصادياً جديداً – وان يكن موضوعياً بالنسبة لسكان تدمر – يمكن ان يكون دائماً ذا مظاهر سلبية بالنسبة لبعض فئات التجار . ومن الخطر ان نلفظ حكماً نهائياً لهذا الموضوع بدون دراسة عميقة للمسائل الاقتصادية في تدمر ، ويبدو لنا انه يمكن مع ذلك ان نشير الى هذه الفرضية دون ان نقولها بشكل نهائي .

كازيمير ميخالوفسكي

* * *